تجلي الرؤيا الغولدمانية في العمل الأدبي – رواية طوق الياسمين لواسيني الأعرج أنموذجا-

The manifestation of the Goldman vision in the literary work - the novel "The Jasmine Collar" by Wasini Al-Araj as a model-

نعيمة سيلت[1]*

[1]جامعة زيان عاشور (الجلفة)، n.silet@univ-djelfa.dz

تاريخ الاستلام: 2022/06/01 تاريخ القبول: 2022/06/09 تاريخ النشر: 2022/06/30

ملخص:

كان تركيز البنيوية الشكلية في بداياتها على قضية النص المغلق على ذاته ، بمعنى لاوجود لمعنا خارج النص ،وذلك من خلال الترابط بين البنيات اللغوية للنص ،متجاهلين علل وجود العمل الأدبي وأسباب اختيار مبدعه لقوانين اللغة وتركيبها الداخلي ،ولهذا جاءت البنيوية التكوينية التي تجاوزت الترابطات اللغوية في العمل الأبداعي ،إلى كشف رؤية العالم في العمل الأدبي وذلك من خلال ثنائية الوعي الكائن والوعي الممكن .

هذا ماسوف نعتمد على تقصيه باعتباره أداةلاستنكاه البنية الدلالية للفكرة في نص رواية "طوق الياسمين".وذلك بتحديد أشكال الوعي المتجسدة في أفكار البطل الرئيسي وكذا أفكار الشخصيات باختلاف مواقعها ،وذلك لتبين طبيعة الخلفية والشحونة الإيديولوجية للفكرة وصلتها بالوعيين الكائن والممكن .

كلمات مفتاحية: الرؤيا، الوعي الممكن ،الوعي الكائن،البنية.

Abstract:

In its beginnings, formal structuralism focused on the issue of the text closed to itself, meaning that there is no meaning outside the text, through the interrelationship between the linguistic structures of the text, ignoring the reasons for the existence of the literary work and the reasons for creative selection of the laws of the language and their internal structure.

*المؤلف المرسل

Creative work, to reveal the vision of the world in the literary work, through the duality of awareness of the object and awareness of the possible.

This is what we will rely on to investigate as a tool to denounce the semantic structure of the idea in the text of the novel "The Jasmine Collar." By identifying the forms of consciousness embodied in the thoughts of the main hero, as well as the thoughts of the characters in their different locations, in order to show the nature of the background and the ideological charge of the idea and its connection to the existing and possible awareness.

Keywords:
Vision, Possible Consciousness, Object Consciousness, Structure.

1.تمهيد:

ركز رواد البنيوية الشكلية في بداياتها على قضية النص المغلق على ذاته، بمعنى لاوجود لمعنا خارج النص، وذلك من خلال الترابط بين البنيات اللغوية للنص، متجاهلين علل وجود العمل الأدبي وأسباب اختيار مبدعه لقوانين اللغة وتركيبها الداخلي .

ولهذا جاءت البنيوية التكوينية التي تجاوزت الترابطات اللغوية في العمل الإبداعي إلى كشف رؤية العالم في العمل الأدبي وذلك من خلال ثنائية الوعي الكائن والوعي الممكن التي طرحها غولدمان في بنيويته التكوينية.

فما المقصود بهذه الثنائية ؟ وماعلاقة الإبداع الأدبي بهاته الثنائية؟ وكيف تجسد التاريخ والمجتمع من خلال هاته الرؤية؟

هذا ما سنحاول الإجابة عنه في هذا المقال تحت عنوان: تجلي الرؤيا الغولدمانية في العمل الأدبي – رواية طوق الياسمين لواسيني الأعرج أنموذجا-

2.الوعي القائـم والوعـي الممكـن:

إن " الوعي " من المفاهيم التي يصعب تحديدها تحديدا دقيقا، ورغم ذلك فقد عرفه "غولدمان" بأنه "مظهر معين لكل سلوك بشري يستتبع العمل " **(لوسيان،1982،ص:25)**.وإن كلمة " مظهر" تفرض وجود ذات عارفة

ليست لا فردا معزولا ولا جماعة "وموضوعا للمعرفة، وهذه الذات العارفة بدون زيادة، بل هي بنية جد متغيرة ينضوي تحتها في آنٍ الفرد والجماعة أو عدد معين من الجماعات " ***(لوسيان،1982،ص:25)***. من هنا يمكن القول بأن كل واقعة اجتماعية هي واقعة وعي من بعض جوانبها، وكل وعي هو قبل كل شيء تمثيل لقطاع معين من الواقع على وجه التقريب، وهكذا ، فإذا كانت كل واقعة اجتماعية تستتبع وقائع وعي، فان العنصر البنيوي الأساسي لوقائع الوعي تلك هو درجة تلاؤمها أو درجة اللا تلاؤم مع الواقع.

ويميز "غولدمان" بين نمطين من الوعي : الوعي الواقع والوعي الممكنوالوعي الواقع هو وعي بسيط لا يتوفر صاحبه، على إمكانية التأمل فيه، فيفكر بالسلوك أكثر مما يفكر بالذهن، أما الوعي الممكن لا يصله الفرد إلا عندما يستطيع التأمل بفضل ثقافته وخبرته في المعطيات الفكرية لجماعته،من أجل أن يبني بواسطتها مستوى متبلورا لمصالح الجماعة وأهدافها، آنذاك يرفع في ذاته الوعي الواقع إلى مستوى الوعي الممكن. وهذا الوعي هو أساس الوعي القائم الذي يعتبر نتيجة العديد من المعوقات والتحريفات التي تعيق تحقيق الوعي الممكن من جراء مختلف عناصر الواقع التجريبي.

والنتاج الأدبي ومنه الرواية ليس انعكاسا بسيطا للوعي الجمعي، ولكنه تعبير راق عن هذا الوعي، بمعنى أنه لا يرتبط بأفكار عامة الناس، وإنما يرتبط بالإيديولوجيا والفكر النظري اللذين يصوغهما الأعضاء النابهون للجماعة. من هنا تبرز أهمية الوعي الممكن، إذ بواسطته يمكن تحديد الرؤية بشكل جيد وخاصة في الأعمال الكبرى.

3.تجليات الفكرة بين الوعي الممكن والكائن:

طرح غولدمان في كتاباته النقدية، جملة من المفاهيم السوسيولوجية والتي تبنى عليها المقولات الأساسية في منهجه البنيوي التكويني والتي تتمثل في :البنية الدلالية ،الرؤية الكونية ،الوعي الكائن والممكن .الوعي الممكن على حد قول غولدمان :"ما يمكن أن تفعله طبقة اجتماعية ما ، بعد أن تتعرض لمتغيرات مختلفة ،دون أن تفقد طابعها الطبقي "***(شحيد،1982،ص:40)***.

انه ذلك : "الوعي الشمولي القادر على تغيير التاريخ ولن يتحقق هذا إلا بفعل عبقرية الأديب الذي يستطيع أن يعبر عن رؤية العالم لطبقة معينة ...و...وهذا الممكن هو رؤية العالم" ***(ولعة،2001،ص:225)***.

إن الفئة الحاملة لهذا الوعي هي في الوقت نفسه تعكس رؤية للعالم ولمستقبل طبقتها وبالتالي فان كل :" عمل أدبي يجسد ويبلور رؤية للعالم لدى هذه الطبقة أو تلك ،ويجعلها تنتقل من الوعي الفعلي الذي بلغته إلى الوعي الكائن ،ولا يتوفر ذلك إلا للكتاب والمفكرين الكبار دون الصغار منهم ، الذين يتوقعون عند الوعي الفعلي لدى طبقة ما ،ويقتصرون على وصفه ...". ***(شحيد،1982،ص:41)***.

سوف نعتمد على هذه المفاهيم كأدوات لاستنكاه البنية الدلالية للفكرة في نص رواية "طوق الياسمين".وذلك بتحديد أشكال الوعي المتجسدة في أفكار البطل الرئيسي وكذا أفكار الشخصيات باختلاف مواقعها ،وذلك لتبين طبيعة الخلفية والشحونة الإيديولوجية للفكرة وصلتها بالوعيين الكائن والممكن .

4.تجليات الوعي الممكن وإيديولوجية التغيير :

يتأسس خطاب رواية "طوق الياسمين" على نمطين من أنماط الوعي الممكن ،بحيث أن كلا منهما ينبني على خلفية إيديولوجية .وذلك من خلال البطل السارد للرواية ،الذي يمتلك أفكار تحررية و البطلة التي تمتلك أفكار مقيدة بالمجتمع والدين ،أما النمط الثاني فيتمثل في أفكار عيد عشاب الذي يصارع فيها بين الدين الإسلامي و المسيحي الذي كان تعتنقه حبيبته سيلفيا ،أما الأفكار الجزئية فتتمثل في أفكار الطلبة الجزائريين المقيمين في سوريا ،فنرى أن هناك اختلاف في أفكارهم بالرغم من أن يعشون في نفس الفيلا وبلد واحد ،فمثلا لخضر كان يطمح أن يغير العالم (كان يطمح إلى أن يكون ثوريا يغير العالم وينسف الأنظمة العربية العميلة دفعة...عندما اشتعلت النيران وبدأ الحصار الإسرائيلي لبيروت ،ترك الجميع وهاجر إلى بلد غير معلوم .)***.(الأعرج،2004،ص:113)***

أما عفان كان يطمح إلى أن يكون إماما وعالما، وقد سحر بالأبجديات ونحو ابن جني وشقلبات سيبويه وأنه حفظ القرآن عن ظهر قلب، ومع مرور الزمن دفع عفان لأن يرتحل نحو صوفية قلقة. أما سامي الأكبر مثل بطرس الأكبر كان يمتاز بقلب كبير واتساع صدره (لم يطلب من الدنيا الكثير سوى أن تمنحه وقتا كافيا لإسعاد عائلته

وأحبابه الذين أعطوه كل شيء ولم يطالبوه سوى بأن يظل وفيا في الغربة لحليب قريته وقيمها). ***(الأعرج،2004،ص:114)***

أما ماسة طفلة لا تشبه البقية ،كانت لا ترى عيناها سوى الرجل الذي أحبته (ماسة ماتت بين ذراعي الفلسطيني الطيب، فوده وهي توزع جريدة المعركة أيام الاجتياح الإسرائيلي قبل يلحق بها بعد أيام معدود.) ***(الأعرج،2004،ص:115)***، ثم نبيلة، طفلة الماء. ابنة الجنوب التي تموت على البحر وكانت لا تستقر على حالة لا تقبل الفصل والخيار، إما أن تعيش ككل أو ترفض جملا و تفصيلا، تزوجت برجل لم تحبه في حياتها للتخلص من ملاحظات المحيط القاسي ثم خرجت من فيلا الإطفائية.

أما عيد عشاب فكان هو أول من سبق الجميع إلى الهجرة فتعرف على بنت دمشق سيلفيا كانا لهما الفضل في معرفة أزقة المدينة للطلبة (ثم عيد عشاب و سليفيا اللذان لم يكونا من سكان الفيلا ولكنهما كانا ممن فتح الأزقة والدروب المغلقة عندما وضعنا أقدمنا للمرة الأولى في المدينة .عيد عشاب كان قد سبقنا إلى الغربة قبل عشرة سنوات ...).***(الأعرج،2004،ص:115)***

ونرى أن عيد قد تعلق بالمدينة دمشق وأن مصيره شمع بها ،وذلك من خلال أنه رجع إلى مسقط رأسه تبسة لم يمكث فيها إلا بعض الأيام .وأما زميلهم الآخر صالح فكان شاب مرتبك يريد أن يشبه الجميع ، وعندما يجادله أحد يسترشد بمقولة صناع التاريخ العالمي والوطني .و المشحاح أو ابن خلدون كما كان يسميه الأصدقاء انظم إلى المجموعة مؤخرا كان شاب يسيطر عليه حب المال والبخل.

كانوا جماعة صغيرة وأول دفعة للدراسات العليا اختارت مدينة دمشق. مثل الأخوة تجمع بينهم أشواق البلاد والرغبة في الدراسة والنجاح في الحياة، مع كل هذه التفاصيل الدقيقة إلا أن كل واحد يعيش عالما مركبا هو وحده ينتمي إليه.(جامعة صغيرة كنا، لم يقدها إلى هذه المدن العتيقة صرير أبواب السجون الحديدية ولا أصوات الرصاص المرعبة، كنا فقط ندرس ونتمنى من القلب والعين، أن نختصر هذه الغربة ليعود كل واحد فينا إلى ضجيج المدن الثقيلة ،أو إلى بلدته الصغيرة التي تنام متأخرة وتستيقظ مع صيحات الديكة). ***(الأعرج،2004،ص:118)***

5.مظاهر الفكرة والوعي الكائن:

ونلاحظ أيضا الفكر المتمثل في اضطهاد المرأة وحرمانها من ابسط حقوقها كالتعليم(في فترة الستينات في الجزائر) ،ونرى هذا يتجسد من خلال ما روته مريم في رسالتها إلى البطل لتخبره كيف عاشت مع أسرتها كيف كان والدها يعامل أمها وأخواتها ،ونرى الفكر المسيطر على المجتمع العربي عامة والمجتمع الجزائري خاصة وهو عند انجاب البنات فقط ،يعني أن اسم العائلة سوف يتلاشى وان البنات مصدر للفضائح وليس لهم مستقبل إلا البيت والزواج.

كما أن لديهم تعليم الفتاة ليس له أهمية كبيرة وهذا ما نراه عند والد مريم (كان أبي على خلاف دائم مع أمي يرفض أي شيء وكانت أمي مليئة بالحياة وحريصة حتى الموت على الحفاظ على كل شيء على وضعه الأول. حصار من العزلة ضربه على الأبناء ...لم يكن يتوقف عن ترديد جمله التي لم تعد تثر أي واحد في البيت من فرط التكرار.سبع بنات، سبع فضائح،علي أن أحرسها كالمعتوه،في كل ثانية وكل دقيقة .يكفي البنت القراءة و الكتابة .لن ألتزم بأية نفقات .عوموا بحركم...).
(الأعرج،2004،ص:39)

ولكن رغم كل هذا الألم والاضطهاد حاولت أم مريم أن تكمل دراسة بناتها وخاصة مريم وتحمل نفقتها من خلال بيع ذهبها لعيشة الدلالة، ومحاولة إرضائها لزوجها ونزع الحقد (والدي يصر دائما على موقفه بأنه لم يعد قادرا على تعليمنا والأم تصر وتجامل حتى تصل إلى نزع غلالة الحقد عن عينيه، فيلين قليلا.يرحمك الله يا أمي لقد قاومت الشطط كثيرا وهول الحروب الفارغة. تنزع قطعة من حليها وترسلها إلى عيشة الدلالة ،فتشتريها منها بثمن بخس .عجوز مرابية تشدد الخناق على النساء المحتاجات حتى تفوز بالقطعة الذهبية وبالثمن الذي تريد). ***(الأعرج،2004،ص:40)***

وفي الأخير تغلبت الأم على الجهل والقسوة بنجاح مريم البكالوريا (في الأخير عندما تحصلت على البكالوريا، ذهبت نحو الحياة أبحث عن طريقي بدون أن أسأل على ردة فعل البطريرك المتقادم، ورائي أصداء أخواتي ودعوات أمي لأول مرة أشعر بأني بالفعل حققت شيئا ضد القدر.أمي كانت هي الوحيدة التي فرحت لي.)
(الأعرج،2004،ص:40)

وبالرغم من كل الصعوبات التي واجهت مريم وأمها استطاعت أن تتحصل على شهادة ووظيفة، لكن خيرة أختها لم تستطع مقاومة هذا السجن الذي كان يفرضه والدها عليها فانتحرت (الغربة أكلت كل العائلة ... بدأت بالأخت الكبرى خيرة، التي كانت

تشبه أمي في أميتها وخوفها علينا، تركت فراغا كبيرا في البيت بانتحارها، لم تقدم أي مطلب. حملت سرها معها. لفت نفسها في غطاء صوفي وكبت على نفسها البنزين وأشعلت النار بعد أن سدت كل المنافذ .) ***(الأعرج،2004،ص:41)***

ونلاحظ أيضا عدم مراعاة صحة المرأة ،المتمثل في مرض العائلة بمرض الكوليرا وأن الوالد لم يعرهم أي اهتمام لولا جارهم الطيب ،مما أدى إلى وفاة الطفلة الصغرى (أختي الصغرى ماتت بوباء الكوليرا الذي كاد أن يلحقنا بها جميعا لولا جارنا الذي أخذنا جميعا في سيارته إلى المستشفى). ***(الأعرج،2004،ص:42)***

كما نلاحظ سيطرة الأب وقسوته من خلال تزويج ابنته الوسطى بشيخ (وأختي الوسطى زوجت من رجل أعمى كان يكبرها بأكثر من نص قرن. كان قد فقد زوجته إثر مرض خبيث.). ***(الأعرج،2004،ص:42)***

أما والد مريم عندما مرضت زوجته قبل أن ينظر إلى حالتها فكر في الزواج ولم يعرها أي اهتمام (حتى والدي لم يكن منشغلا بالوضعية ،فقد بدأ يبحث عن كل السبل التي تبرر زواجه من امرأة أخرى. لم أكن ضد الفكرة ولكن يا ربي سيدي يما مازلت حية). ونلاحظ أن بعد وفاة الأم تشتت العائلة وأصبح أحد لا يسأل عن أحد(فجأة لم أجد نفسي معنية بأي شخص في الدار....كنت الوحيدة التي تسأل عنهم جميعا ولا أحد يسأل عني....). ***(الأعرج،2004،ص:68)***

ونرى أيضا من شدة قسوة الأب وظلمه أن البطلة لم تبك عليه (يوم مات والدي لم أبك.في لحظة أردت أن أمثل أمام الناس ولكن الضبابة التي غلقت وجهي منعتني من كل شيء). ***(الأعرج،2004،ص:69)***

أما الأم فقد كانت تمثل لها رمز التضحية ومنبع الحنان فقد بكت عليها بشدة (أمي بكيتها بحرقة يوم ماتت عندنا في البلدة يقولون اللي يتيم يتيم الأم). ***(الأعرج،2004،ص:69)***

ونرى أن عيد عشاب بسبب حبه لسيلفيا أراد أن يغير دينه رغم علمه بأنه سيصبح حلال دمه لكل مسلم لأن الدين الإسلامي يأمر بذلك.

ولكن رغم كل هذه التنازلات التي قام بها عيد لوالد سيلفيا إلا أنه رفض وأصر على زواجها من ابن عمها ،لكن سيلفيا بعد اللقاءات المتكررة مع عيد عشاب أسرت على الهرب معه لكن عيد عشاب رفض(أنا .نعم.أنا.في اليوم الذي خرجت فيه سيلفيا من صمتها التقينا في بيت أحد الأصدقاء .كانت تبكي .قالت سأهرب معك.ضحكت،قلت

ليكن ولكن إلى أين ،قالت عند والدك في المدينة المنورة،مادام غنيا ويعيش في بلاد بعيدة. قلت :والدي ؟ لم أعد أذكر إلا لون النقود التي كان يبعثها لي كل شهر للدراسة). ***(الأعرج،2004،ص:167)***، مع أن سهام كانت صديقة عيد عشاب وتحبه إلا أنه كان لا يراعي إلا لحبه فكان يراها مجرد صديقة (شوف مثلا لسهام أحبتك من كل قلبها ولكنك لم تلتفت لها...سهام إنسانة غالية علي لا أنا تركتها ولا هي تركتني ،لسهام فلسفة خاصة في الحياة ،اختارتها بكل وعي وربما من القليلين ،إذا لم أكن الوحيد الذي يعرفها.) ***(الأعرج،2004،ص:220)*** ثم بدأ عيد عشاب بالمرض بعد هم سيلفيا ،وهم والده الذي تركه ولم يعد يسأل عنه.

(وبدأت بالفعل أتحول إلى مختبر للأمراض .من الجدري الذي أكل وجهي في الطفولة إلى القرحة التي لم تبقي الكثير من معدتي، إلى التهاب الأمعاء ثم إلى الرئة بسبب التدخين والهم ومنذ أسبوع أصبت بمرض أقعدني فذهبت للطبيب مع الأخ عبد العزيز....). ***(الأعرج،2004،ص:221)***

بعد كل هذه الأمراض والمصائب على عيد ،سمع بوفاة صديقته سهام الذي كان ينتظر منها مناقشة رسالتها عن ابن عربي والصوفية (اليوم عدت من الجامعة منكسرا كنا ننتظر وصول سهام للمناقشة ولكننا فوجئنا بخبر وفاتها معلقا على مدخل مدرج شفيق جبري.). ***(الأعرج،2004،ص:258)***

بعد كل هذا يبدأ عيد عشاب يتحدث عن الموت وعن سيده الأعظم محي الدين ابن عربي وهو يأخذه إلى الموت (...طلب مني أن أتبعه نحو طوق الياسمين .كنت أعرف أنه يقودني نحو الموت ولكني لم أتردد لحظة واحدة كانت رائعة الياسمين والنباتات الاستوائية قوية ...)وبعد مدة قصيرة وجد عيد عشاب ميتا وبجانبه أربع قناني عرق الريان فارغة وقنينة نبيذ جزائري والكثير من قناني البراندي وقارورة أقراص بيضاء منزوعة الإشارات الطبية وهكذا عاش عيد عشاب وحيدا ومات وحيدا مثل سيده الأكبر.

نلاحظ أيضا في الرواية صراع بين الديانات وخاصة الإسلامية والمسيحية من خلال عيد عشاب وسيلفيا حيث تبدأ قصة عيد عشاب مع سيلفيا أنه كان يعشقها من وراء الستائر، ثم استطاع أن يسحبها نحوه (اليوم قمت بشيء استثنائي بالضبط هذه الخطوة الأولى عرفت اسمها بعد أن استطعت الخروج من مخبئ من وراء البرادي

(الستائر) ...دعوتها للقاء خارج البيت بورقة رميتها من شرفتي نحو شرفتها ...). ***(الأعرج،2004،ص:23)***

وعندما التقت سيلفيا بعيد عشاب حكت له عن تشدد والدها ورغبته بتزويجها بابن عمها ولكنها هي رافضة تماما هذا الزواج لأن أخاها جورج كان يؤيدها على رفضها (حكت لي كثيرا عن تشدد والدها وعن رغبته في تزويجها مع ابن عمها ولكنها ترفض وتقاوم لأن أخاها جورج يساعدها على تجاوز محنتها...). ***(الأعرج،2004،ص:24)***

وبعد لقاءات المتكررة بين عيد عشاب وسيلفيا، أراد الزواج بها ولكن والدها رفض بسبب ديانته، حيث عيد عشاب كان مسلم أما هي فمسيحية.(... كنا منكسرين للمرة الألف يكون رد عائلتها قاطعا.لا زواج .أنت مسلم ونحن مسيحيون). ***(الأعرج،2004،ص:33)***

وبقي عيد عشاب يراقب سيلفيا من وراء البرادي .ويأمل أن يتزوجها، ومما زاد هم عيد عشاب هو والده الذي تركه ولم يعد يبعث له أي مصروف أويسأل عنه.(...خارج إنسان مازال يبحث في سؤال بدائي لا يقدم ولا يؤخر :لماذا تخلى والدي عني ؟.)***(الأعرج،2004،ص:83)***

ولكن عيد عشاب لم يستسلم وأعاد الذهاب إلى بيت سيلفيا (ذهبت لأرى سيلفيا وأهلها ...هذه المرة طلبت يدها رسميا من والدها .قالوا لي دينك. قلت مسلما ولكني أحب سيلفيا. ثم كرروا:دينك؟ قلت بلا دين إذا كان هذا يحل المشكل.والأولاد؟ قلت: تسميهم سيلفيا إذا شاءت ...قال أبوها كلكم تقولون نفس الكلام؟المشكل أنك مسلم.قلت سأذهب إلى الكنيسة وأعتنق المسيحية أو اليهودية فأنا قرأت العهدين القديم والجديد وأستطيع أن أكون ما تشاؤون.قال أبوها: دينك يأمر بقتلك في مثل هذه الحالة ألا تعرف؟ قلت أعرف وأعرف أسوأ من ذلك. لكن الدين، كل الدين هو ما نحمله من خير للناس .كنت صادقا وعفويا ولكنه رفض.). ***(الأعرج،2004،ص:108)***

6.علاقة الرواية بالتاريخ:

يظهر من خلال الرواية أن البطل يكتب جزء من تاريخه في مرحلة من مراحل حياته، وهو شاب في فترة الستينات في دمشق ومن خلال الرواية نلاحظ مدى تعلق الكاتب بالتاريخ والكتب القديمة وأيضا البطلة من خلال ما كان يصفها الراوي (وبعض الكتب المتراكمة في فوضى ،على الطاولة العتيقة المحاذية للسرير :تغريبة

بني هلال، سيرة عنترة،سيف بن ذي يزن، أساطير الأولين والحكايات الشعبية، الشعر القديم، مؤلفات نوال السعداوي...) ***(الأعرج،2004،ص:73)***

ونرى أيضا أن البطل كانت له قصص من الكتب القديمة والكتب الدينية (...قلت لك أنا كذلك عاشقا للكتب الصفراء ومؤلفات سيدي علي النفزاوي الذي عرى الأجساد ووضعها أمام نفسها لتقرأ ضعفها وإنسانيتها ،ومبارك الخضير الذي قضى ثمانين سنة وهو ينتظر العلامة التي تأخذ في طريقها كل شيء ويختفي وراء الكلمات هربا من الموت .وسيدنا التيفاشي وسيدي الجلالي بن رضوان التلمساني والكتب التي ذكرت باستفاضة تفاصيل الموت وعذاب القبر وأبو معشر الفلكي وابن تيمية ومحنته وسيد قطب وإعدامه والطبري...).***(الأعرج،2004،ص:120)***كما يعيد البطل وصف مريم بأنها مازالت طفلة تعشق الكتب الصفراء (ما تزالين طفلة تعشقين الكتب الصفراء وتموتين في سيرة البطل الهمام سيف بن ذي يزن، وتغريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب وحروبهم مع الزناتي خليفة... وقصة مغامس مع بنت عمه شاه الريم.... تحبين كل هذه الأشياء التي تؤكد لك أنك مازلت في الطريق المستقيم والمقدمات الطللية للقصائد الجاهلية ولا تتسائلين.). ***(الأعرج،2004،ص:135)***

ونلاحظ أن البطل يرى من خلال هذه الكتب أنها تؤثر في شخصية البطلة . وهناك استرجاع لنصوص تاريخية مثل ما حدث للبطل وهو مع البطلة استرجاعا لقصيدة السياب مطر (مطر، مطر ، مطر .تذكرت السياب فجأة قصيدة السياب. دندنت... ثم التفت نحوي

مسكين السياب ما عندوش الزهر ، أعطى كل ما عنده لكن الأصدقاء تركوه والله بالفعل تخلى عنه. هل وجدت عظيما فعليا في التاريخ مات ميتة مرتاحة ؟ كلهم ماتوا في النسيان الكلي والإهمال لكنهم في قلوبنا .نتذكرهم اليوم في الوقت الذي لا أحد يتذكر أصحاب المال الذين ملأوا الدنيا ضجيجا واشتروا العباد والذمم). ***(الأعرج،2004،ص:128)***

7.علاقة الرواية بالمجتمع:

نرى الرواية تقدم مجتمعين لأن الأحداث دارت في دمشق والشخصيات من الجزائر، فنرى الراوي يقدم وصفا ساحرا لأجواء دمشق الستينات دمشق الوجع والفقر والحرقة والفراق والضياع ،ونجد أن في الرواية السارد يذكر الفقر (لم تحب من الحياة كثيرا سوى أن تعشق الدروب الضيقة التي تغلق أبوابها مبكرا لتعيش طقوس

الفقر في منأى عن نظرات الناس المؤذية. حرام الفقر ليس كفرا ولكنه أسوأ من ذلك.). ***(الأعرج،2004،ص:30)***

وهكذا نفس حالة الفقر في رسالة مريم وكيف كانت تعيش مع عائلتها وأن ذهابها إلى الجامعة سوف يخفف من مصاريف البيت (أمي كانت الوحيدة التي فرحت لي لأنها كانت تعرف إن البيت لن يضطر بعد اليوم لإعالة فم سابع يا طبق المسكين ما نكلك ما نخلي اللي يأخذك؟...). ***(الأعرج،2004،ص:41)***وحتى في دمشق المدينة نرى أن هناك مظاهر الفقر ويتمثل في عمل الأطفال (... ويا مدينة موجوعة القلب ،تعج بالأطفال الفقراء ومساحي الأحذية وبياعي الفول وأقراص الفلافل التي تحترق في الزيوت النباتية العتيقة بالقرب من سوق شاروجه.). ***(الأعرج،2004،ص:81)***

كما يصف الراوي بعض سلوكات المجتمع وهي شرب الخمر وبيعه (من باعة وخمارين احتسوا مشروب البراندي أو المازوت كما كنا نسميه وجلسوا في الساحات العامة يستذكرون الفتوحات الغرامية الآفلة والهزائم العربية ويحددون الاستراتيجيات الكبرى لمحاربة العدو القومي.) ***(الأعرج،2004،ص:81)***. وهكذا يسرد الراوي أن بعض الوجوه التي كانت تحارب العدو القومي قد تغير وأصبحت تسعى إلى السلطة وهمها الوحيد جمع أكبر عدد ممكن من المال. (فالوجوه الغامضة في هذه المدينة التي علمتنا التاريخ وحاربت العدو القومي،لم تعد اليوم مثلنا كانت بطونها النحيفة صارت اليوم دائرية ،بيوتها الطينية صارت عمارات وناطحات سحاب ، وحساباتها البنكية خرجت من هذه الأرض باتجاه المدن البعيدة .لم تعد أقلية فقد تكاثرت حتى صارت مخيفة ، في كل انعطافةيواجهك رجل يسد على مؤخرته خوف انزلاقها ثم يقف في الزاوية المواجهة للبنك ينتظر السيارة السوداء التي تمر عليه لتأخذه لتبييض مال النفط والسلاح والمخدرات والبحث عن كل ما يبرر خسائرنا المتراكمة داخل مهرجانات الكذب.). ***(الأعرج،2004،ص:82)***

أما من ناحية الدين والأخلاق فقد كان المجتمع متحفظا وهذا من خلال ما نلمحه في سلوك العجوز صاحبة العمارة التي كانت تمنع الاختلاط وتحاربه (لم نخرج كما هي العادة دائما بصعوبة تسللنا من دفء الفراش وتزحلقنا إلى النافذة ،أيدينا على قلوبنا نخاف أن تفاجئنا العجوز أم عمر ،صاحبة البيت ذات ليلة كفأرين، في حوزتها نسخة ثانية من المفتاح تجد لذة في التجسس على كل حركاتنا ستقلب الدنيا على عقب...). ***(الأعرج،2004،ص:166)***

وكذلك الأمر بالنسبة لعيد عشاب أو غيره ممن يقطنون نفس البناية ،إناثا وذكورا.(اليوم نمنا مبكرا أو لنقل دخلنا الفراش قبل أن نأكل ونشرب كأس العرق الأخيرة ،كم كنا بحاجة إلى بعض ؟تحايلت كالعادة على صاحبة البيت الحجي وأدخلت سيلفيا من جهة الحديقة في لباس شاب يشبه أحد عمال السكك الحديدية بقبعته التي تغطي وجهه...). ***(الأعرج،2004،ص:33)***

كما أن الفقر كان من أبرز مميزات كلا المجتمعين فالبطل مثلا قد عاش حياة بائسة وفقيرة (حين صارحتك لأول مرة بأني كبرت بين الأغنام والذئاب وأن وجودي بهذا المكان هو مجرد صدفة وكان يمكن بكل بساطة أن أكون مهربا للمخدرات أو مجرما أو راعيا لا شيء كان يؤهلني لأن أكون ما أنا عليه اليوم ،وطفلا يتيما تربيت قبل أن أدخل هذه البلاد التي تفتح عينيها على الغادي والرائح.وعملت فلاحا عند أحد أعمامي في أرض جافة لاتنتب إلا اليابس كنت مولعا بالجري وراء كلاب الحارات الضيقة ومطاردة القطط الضالة...). ***(الأعرج،2004،ص:158)***

وكانت هذه الظروف التي عاشها. بسبب هجره والده وأنه تربى في أحضان جدته (وقلت لك أني تربيت في أحضان الجدة لأن والدي قضى كل عمره في الغربة. عشقته حتى أكلته. أبي ابتلعته مناجم الشمال وأشواق المدن المضاءة التي لم يكن يراها إلا في البطاقات البريدية التي يرسلها لنا.). ***(الأعرج،2004،ص:159)***

كما أننا نلحظ تواجد العادات و المعتقدات المتمثلة في ذكر الأولياء الصالحين وتداول ذكرها وبكثرة من ذلك على سبيل المثال (سمعته أول مرة من فم عيد عشاب وكان منطفئا. كلما شرب العرق ونبيذ الجزائر لا يتذكر أحدا إلا جده، شيخ الزاوية وبن عربي ومأساة الحلاج وسيلفيا وبؤس الأديان...).***(الأعرج،2004،ص:35)***

ونرى في رواية تجسيد فكرة كانت سائدة في المجتمع الجزائري في تلك الفترة وهي فكرة الزواج المبكر وأن الفتاة عندما تكبر عليها أن تبرر لكل القبيلة سبب رفضها الزواج ولديهم المطلقة أحسن بكثير من البائرة ، وهذه الأفكار طرحت البطلة للبطل لكي تبرر زواجها من صالح أو تقنعه بالزواج (وأقنعتني في ذات اليوم من سلالة سيدي عبد المؤمن بوقبرين وأن بلدتكم قاسية لا ترحم .الكلام الكثير يؤذي .وأنك تريدين أن تكوني أنت وتعيشين مثلما تشتهين وأن حريتك مرهونة بالخلاص من هذه المعضلة التي لم تعد بالنسبة لك مقنعة ولكنها مثل الدواء المر ، نشربه لكي نتحرر من

المرض ، أما هو في حد ذاته ، فلا معنى له ، سنك يرهبك ، فعمر المرأة ليس مثل عمر الرجل . السنوات تزحف .

والواقفون في الطرقات ، عيونهم لا ترحم والخطاب كثيرون ، البعض نصابون والبعض الآخر محتالون والقلة القليلة طيبة القلب ونواياها صادقة . في كل صيف ، عليك أن تبرري لكل القبيلة عن رفضك أبناء العمومة ؟) ***(الأعرج،2004،ص:174-175)*** (-هكذا. ولا شيء غير ذلك .عندنا في البلدة ،المطلقة أحسن بكثير من البائرة . أرفض أن أنتهي بائرة ...). ***(الأعرج،2004،ص:186)***

8. خاتمة:

وفي الأخير نستخلص جملة من النتائج وهي مرتبة كالآتي:

- أن الوعي الفعلي هو الذي ينجم عن الماضي بجميع أبعاده و ظروفه،وكان ممثلا في سرد الراوي السارد لفترة من فترات حياته وهي مرحلة الشباب، حيث حاول أن يجد لنفسه موقعا داخل المجموعة الإجتماعية ليفهم الواقع انطلاقا من ظروفه الاجتماعية و الاقتصادية و الفكرية و الدينية.
- بينما الوعي الممكن هو ما تطمح فعله طبقة اجتماعية بعد تعرضها لتغيرات مختلفة، متمثلا في البطلة وطريق بحثها عن الاستقرار والأمان.
- يخضع الأول في وجوده للحاضر خلال مرحلة معينة، أما الثاني فمجرد إمكانية، ترتبط بالمستقبل؛ إنه ذروة ما قد يصله وعي جماعة مع احتفاظها بطبقيتها.

و يمكن القول أن الوعي الممكن يتضمن الوعي الفعلي و يزيد عليه؛ بمعنى أنه يتكون منه، و يتجاوزه ليصير شموليا، لذا يرى (غولدمان) أنه العنصر المحرك لتاريخ الإنسان.

الهوامش:

1. جمال شحيد:في البنيوية التركيبية ،دار ابن رشد، بيروت ،ط1،،1982.
2. صالح ولعة :البنيوية التكوينية ولوسيانغولدمان ،مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية التواصل ،ع8،

جامعة عنابة ،2001. الأعرج واسيني: طوق الياسمين رسائل في الشوق والصبابة والحنين ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،بيروت،ط2004،1.

3. غولدمانلوسيان ـ الوعي القائم والوعي الممكن ، ترجمة. محمد برادة، مجلة آفاق ع 10 / 1982.